الفصل الثاني

الأسرة.. بين إيجابيات الإنترنت وسلبياته

ككُلّ اكتشاف علمي أو تطوُّر تكنولوجي فإنَّ للإنترنت إيجابيات وسلبيات وهو الأمر الذي يتوقف علي مُستخدميه وكيفية استخدامه،فهو مصدر للحصول علي المعلومة، والتسلية، وللتواصل بين الأفراد، وللإعلان، والتسويق، وللتعبير عن الرأي بهدف، وبغير هدف..الخ. والتعامُّل مع الإنترنت قد ساعد الأسرة في البحث عن فرص العمل، أو التجارة، أو عقد الصفقات، أو التسجيل ودفع الرسوم، وتقليل فترات التسوق عبر الإنترنت، كما ساعد في ترتيبات السفر والحجز للرحالات السياحية، وفي التعرُّف وعقد الصَّداقات عبر القارات، ووسَّع من نطاق التعرُّف والمجالات التي تندمج معها الأسرة.

وهذا جعل من الإنترنت عاملاً من عوامل تحقيق التنمية البشريَّة بما يحمله من جوانب إيجابيَّة، وتحدياً لها في نفس الوقت عبر إساءة استخدامه من قِبل مُصممي ومُديري المواقع الإلكترونيَّة، ومُستخدميها التي تنعكس علي أفكار وسلوكيات الأشخاص، فأمَّا هذا المدّ الإلكتروني لشبكة الإنترنت أصبح من الصَّعب بل من المستحيل علينا الانعزال عنه كأفرادٍ أو كدولٍ ومجتمعات. لذا نجد الدول بكبيرها وصغيرها متأثرة ومُستخدمة لشبكة الإنترنت، وهذا ما يوصلنا إلي أنَّ الأسرة بكافة مكوناتها ليست خارج هذا التأثير وتداعياته.

إنَّ تكنولوجيا الاتصال الحديثة تؤثّر في سلوك أفراد الأسرة بأبعاده الثلاثة: (الأفعال Actions ، التفكير Thinking ، الانفعالات Emotions)، وبالتالي على علاقاتهم الداخلية (فيما بينهم)، وعلاقاتهم الخارجيَّة (مع المجتمع)، كما أنَّ تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت تؤثر في التفاعُل الأسري في ضوء الإشباعات المطلوبة جراء استخدام هذه التكنولوجيا، وكذلك في ضوء نسق القيم السائدة في الأسرة، وقد تكون عاملاً يدعم هذا النسق أو يضعفه، فإذا كان الكمبيوتر والإنترنت يلعبان دوراً مهماً في حياة الأسرة المعاصرة، فإنَّ الجدوى المتحصلة تتوقف على طبيعة استخدام هاتين التقنيتين من جانب أفراد الأسرة والإشباع المتحقق.

وفيما يخص الأطفال، فإنَّ الاستخدام المُعتدل والهادف للانترنت لا يؤثر على الأداء الأكاديمي أو الاجتماعي من جهةٍ. ومن جهةٍ أخرى، فإنَّ الأسرة تُشكّل المؤثر الأوَّل في علاقة الأبناء بالإنترنت والآثار المترتبة على هذه العلاقة، وهنا تؤكِّد الدراسات العلميَّة على أهمية دور الأسرة كسلطةٍ ضابطة للسلوك وبما يتفق ونسق القيم السائد، فإذا مارست الأسرة هذا الدور تصبح تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت عاملاً إيجابيًّا مواتياً من المنظور الأُسري، وعندما تكون القيم الضابطة لسلوك أفراد الأسرة

متفقة مع معايير تقرها ثقافة المجتمع، تكون هذه التكنولوجيا مصدراً لإثراء القيم الايجابيَّة في الأسرة والمجتمع.

وفي ظلّ ما تطرحه العولمة من فرص وتحديات جديرة بالاهتمام،فإنَّ عملية التنمية والتغيير الاجتماعي تطرح علي الأسرة مشاكل وتحديات تتعلَّق بتكوينها وتماسكها ودورها في عملية التنمية، من حيث تعليم وتأهيل الإنسان القادر علي التفاعُّل الإيجابي والتعامُّل الواعي مع هذه التطوُّرات ومحاولة حلّ المعادلة الصَّعبة التي تقتضي الاستفادة من العولمة، وفي الوقت ذاته مواجهة ما تنطوي عليه من تحدياتٍ، وهذا ما ينطبق تماماً علي استخدام شبكة الإنترنت، فالعلاقة بين الأسرة والإنترنت ذات منحيين: فمن جهةٍ أولي يُشكّل الإنترنت داعماً أو شريكاً للأسرة في تكوين وتنمية شخصية أفرادها، ومن جهةٍ أخري يُشكِّل اعتداءً أو اختراقاً (وهنا نستطيع تشبيه هذا الاختراق بما يسمي بلغة المعلوماتية الهاكرزHackers) يعرقل أو يشوه عملها في بناء شخصيات أبنائها وصقلها.

ويؤدي الإنترنت دوراً إيجابيّاً ملموساً في توليد المعرفة والعلم لدي الأطفال والبالغين وإلي تغيير الأنماط الفكرية والسلوكية لديهم عبر حزمة متنوعة من:

- الموسوعات والكتب والمراجع المتوافرة على المواقع الإلكترونيَّة والتي تؤمِّن للأفراد مصدراً غنياً بالمعلومات اللاَّزمة لكتابة الواجبات المدرسيَّة، والأبحاث، والتبحُّر في موضوعٍ مُعيَّن، أو مجالٍ بعينه.
- أساليب وسُبُل تنمية مهارات حُبّ الاستطلاع والتعلُّم الذاتي،كما وفر الإنترنت شكلاً جديداً للتعليم والتعلُّم الاستكشافيين المفتوحين والشائقين.
- مهارات الأسلوب التفاعُلي والمشاركة بالمعلومات والآراء والتجارب.
- أدوات وآليات استكشاف العالم ومتابعة كُلّ ما يطرأ عليه من مستجداتٍ في جميع المجالات الثقافيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والفنيَّة والرياضيَّة..الخ
- تعلُّم اللُّغات الأجنبيَّة المختلفة ممَّا يُسهِّل عملية التواصل بين الثقافات الأخرى والتعرُّف إليها.

الإنترنت ..مخاطره وسلبياته علي الأسرة:

ذكرنا تأثير الإنترنت بشكلٍ مجمل على العلاقات الاجتماعيَّة في عمومها، ولكن بالتأكيد سيكون تأثيره على أفراد الأسرة الواحدة أشد خطراً، وإن كان قليلاً، ولكنَّه بالفعل ليس تأثيراً

ضعيفاً بل إنَّ تأثير الإنترنت على الأسرة تأثيراً خطيراً وقويّاً جدًّا، فلم يكتفِ الإنترنت بجعل الأسرة مُفكَّكة فحسب، بل إنَّه لا تخلو أي أسرةٍ من مشكلات الإنترنت المختلفة.

في البداية إنَّ الفرد يحتاج إلى شريكٍ في حياته، يُعينه على أعباء الحياة، ويُساعده فيها، فلا يشعر بأنَّه وحيداً أو قليل الحيلة، فإنَّ الأسرة تُعطي قوَّة للمرء، كما تعطيه الحُبّ الكافي الذي يحتاج إليه ليواجه الكثير من الصعوبات، فعندما تغلل الإنترنت في حياة الأسرة غيَّر في معالمها الأصلية، فأصبح المرء وحيداً في أسرته، ربما يتلقى دعمه من الخارج عن طريق علاقاته على مواقع التواصل الاجتماعي أكثر من الداخل في أسرته، فاختفت تلك العلاقة التي تجمع بين الأب وأبنائه، أو الأُمّ وأبناءها، كما اختفت أيضاً علاقة الأخوة بعضهم البعض ، والأكثر خطورة هو فتور العلاقة التي تجمع بين الزوج وزوجته، وبهذا قد أصبحت الأسرة مجرَّد كيان هش قابل للسقوط أو الانهيار في أيَّة لحظةٍ. فمن الممكن أن نُشاهد الأب وهو يحاول التواصل مع أبنائه بأن يخرج معهم في نزهةٍ أو زيارةٍ ولكن دون جدوى، لأنَّ الأبناء أصبحت متعتهم قاصرة فقط علي متعة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي..

وكُلّنا يعرف أنَّ الإنترنت يحوي الكثير من المواقع التي لا يجب للأطفال الوصول إليها دون رقابة مناسبة، كما أنَّ الجلوس لساعاتٍ طويلةٍ على الإنترنت يجعل الطفل لا يُمارس الألعاب الحركية التي من المفترض أن يقوم بها في هذا السن، أو لا يقوم بواجباته المدرسية المطلوبة منه، فيحصر اهتماماته في شيءٍ مُعيَّن وغالباً لا يُفيده. وقد توصلت بعض الدراسات إلى أنَّ غالبية المواقع التي يتصفحها مُستخدمين الإنترنت هي المواقع الترفيهية،حيث بلغت النسبة ٢,٦٢٪ ،وهذا ما يؤكِّد صغر سن مَنْ يستخدم الإنترنت من فئات المجتمع، الذين يدفعهم لاستخدام الإنترنت التسلية.

ومثل هذا الطفل وغيره من الأطفال، يفقد بالتأكيد تواصله مع أسرته، بل سيقلّ أيضاً إنتاجه في أي شيءٍ آخر، وإن أتيحت له الفرصة للقيام بعملٍ ما فسيبقى تفكيره مشتتاً بما كان يفعله على الإنترنت حتى يقوم بفعله مُجدَّداً، وبالتالي سيصبح انطوائياً داخل المنزل وخارجه، يقضي سَّاعات أطول ممسكا هاتفه المحمول أو أي وسيلةٍ إلكترونيَّة، كارهاً إمضاء وقته مع أي أحدٍ آخر، ولذا لا يستطيع أن يحظى بأصدقاءٍ جُدد.

و لقد انتقل تأثير الإنترنت من الأبناء إلي الآباء،فنجد كثيراً الزوجة وهي تشكي غياب زوجها عنها وهو في المنزل، لأنَّه لا يترك هذا هاتفه الجوَّال من يده، أو لا يملّ من

الألعـاب الإلكترونيَّـة التـي أُعـدت للكبـار أيضـاً، وعندمـا يحـدث مثـل هـذا الخلـل في علاقـة الـزوج بزوجتـه فعلينـا أن نتوقـع أن البيـت علـى وشـك الانهيـار، فحينمـا تنزعـج الزوجـة / الأُمّ فـإنَّ البيـت كُلَّه ينزعـج، وحينمـا تغضب،فغالبـاً مـا تصـبّ جـام غضبهـا علـي أبنائهـا،أو ربمـا تتكاسـل قليـلاً رغمـاً عنهـا في أداء أعمـال منزلهـا، وهـي إن لـم تجـد الاهتمـام الكافي الـذي مـن المفتـرض أن يُحيطهـا بـه زوجهـا فلـن تُعطيـه بالمقابـل لأبنائهـا، كمـا لـن تعطـي شـيئاً أصـلاً، فانشـغال الـزوج عنهـا وإمضائـه الكثيـر مـن الوقـت بعيـداً يجعلهـا تشـعر بالوحـدة، وربمـا تقـوم هـي الأخـرى بفعـل نفـس الشـيء الـذي يقـوم بـه زوجهـا من الإمسـاك بهاتفهـا الذكـي، والانشـغال بالإنترنـت، ولكـن عندمـا تقـوم هـي بذلـك سـيكون هنـاك انهيـاراً حقيقيـاً لدعائـم هـذه الأسـرة.والأمر لا يتطلـب سـوي أن يضعـا نصـب أعينهمـا أنَّ مصلحـة الأبنـاء ورعايتهـم مقدمـة علـي أيـة مصلحـة أخـري وحسـب.

ونـورد هنـا بعـض نتائـج البحـوث والدراسـات المُتعـدِّدة والكثيـرة بهـذا الشـأن.فقد توصلـت بعـض الدراسـات للنتائـج التاليـة:

- تأثَّـرت الأسـرة سـلباً في ظـل وجـود الإنترنـت بحيـث سـاهم في التقليـل مـن القيـام بالزيـارات العائليـة بنسـبةٍ بلغـت ١,٤٥٪

- استخدام الأب للإنترنت قلَّل من قيامه بمسؤولياته تجاه أفراد أُسرته،بنسبةٍ بلغت ١,٣٨٪ .
- استخدام الأُمّ للإنترنت قلَّل من أدائها لواجباتها تجاه أفراد أُسرتها، بنسبةٍ بلغت ١,٣٧٪
- استخدام الإنترنت قلَّل من الأوقات التي يقضيها أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، بنسبةٍ بلغت ٥٦٪.
- كما تبيَّن من النتائج التي تمَّ التوصل إليها من بعض البحوث الميدانية،ما يلي:
- هناك تغيُّر في سلوكيات المُستخدمين للإنترنت، بحيث أدي استخدامه إلي العزلة داخل المنزل، بنسبةٍ بلغت ٦,٥٢٪.
- أنَّ الأبناء - أحياناً - لا يحترمون قرَّارات الوالدين،بنسبةٍ بلغت ٤,٣٨٪ .
- أنَّ استخدام الأبناء للإنترنت قد أدي للتهاون في أداء الصلاة، بنسبةٍ بلغت ٧,٤٤٪.
- أنَّ استخدام الإنترنت ساهم في تكوين علاقات غير مسموحة بين الجنسين عن طريقه، بنسبةٍ بلغت ٤,٤٤٪.

- أنَّ إطلاع الأبناء على المواقع المتنوعة داخل شبكة الإنترنت أدت إلي تغيير طريقة الملبس، بنسبةٍ بلغت٣,٣٩٪ .
- أنَّ استخدام الإنترنت ساهم ــ أحياناً ــ في تقليد قصات الشعر الغريبة، بنسبةٍ بلغت٣٥,٣٩٪ .
- أنَّ استخدام الإنترنت ساهم ــ أحياناً ــ في اكتساب ألفاظ غير لائقةٍ، بنسبةٍ بلغت ٥٤,٣٨٪ .
- أنَّ مواقع الإنترنت يُشجع ــ أحياناً ــ على استخدام العنف كأسلوبٍ في التعامُّل مع الآخرين، بنسبةٍ بلغت ٤,٣٩٪.
- أنَّ استخدام الإنترنت أدى إلى مُطالبة الأبناء بنيل حُرِّيَّة أكثر في اتخاذ قراراتهم الشخصيَّة، بنسبةٍ بلغت٥,٤٤٪.
- أنَّ استخدام الإنترنت أصبح وسيله للهروب من المشكلات لدى المراهقين،بنسبةٍ قدرها٤,٤٣٪ .

لقد أثَّر الإنترنت سَّلباً علي البنيان الأخلاقي للأطفال والمراهقين،فقد وفرت الإنترنت مواقع لا أخلاقية، أو مواقع إباحية، ومواقع تدعو إلي العنف والكراهية، وأخري تجعلهم يدخلون في تجاربٍ عاطفية وهمية. وقد أصبح لكُلِّ فرد منهم عالمه الافتراضي الخاص به، الذي يتعامل معه من خلال

الإنترنت الأمر الذي يُهدّد تماسُك الأسرة وقدرتها علي ممارسة دورها الأساس في التنشئة الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة.

وبالاستناد إلي بعض نتائج الدراسات التي اهتمت بالبحث في تأثيرات استخدام الإنترنت علي الأسرة،يمكننا أنْ نبرز أهمها،علي النحو التالي:

- المراهقون والشباب لم يعودوا يعتمدون علي الأسرة في الحصول علي المعلومات حيث يلجئون إلي مواقع المنتشرة علي شبكته.
- اعتماد الأطفال والشباب علي الإنترنت قد انتهك خصوصية الأسرة.
- تعامُل الشباب مع الإنترنت قد ولَّد صراعات مع الأبوين ممَّا تسبَّب في إضعاف تماسُك الأسرة.
- استخدامات الإنترنت أدت إلي استهلاك الوقت، وبالتالي انخفضت كمية الوقت الذي يقضيه الأطفال والشباب مع والديهم.
- الاستخدام المُتكرّر من قِبل الأبناء للإنترنت يؤثِّر سلباً علي السمات الشخصيَّة لهم، فينعكس ذلك علي علاقتهم بوالديهم.

- بعض الآباء لا يتابعون ما يقوم به الأبناء في تعاملُّهم مع الإنترنت، وهناك بعض الآباء يتجاهلون أو لا يدركون مخاطر استخدام أولادهم المُتكرِّر للإنترنت وخصَّوصاً الأطفال.

وهناك دراسات واستطلاعات عديدة تُشير إلي عددٍ كبيرٍ من الآثار السَّلبية الأخرى علي الأسرة، ففي الولايات المتحدة الأمريكيَّة مبتدعة هذا الإنترنت،برزت إلي الوجود ظاهرة جديدة تُسمي «أرامل لإنترنت» Cyber windows،حيث وصلت نسبة النساء اللواتي يشتكين من إدمان أزوَّاجهن الإنترنت ويطلبن الطلاق إلي ٥٣٪ ، وذلك طبقا للدراسة التي نشرتها «كيمبرلي يونغ» Kimberley Young في مؤتمر مؤسَّسات علماء النفس الأمريكيين المُنعقد عام ١٩٩٧.

وفي مصر أعلن جهاز التعبئة العامَّة والإحصاء تسجيل ٤٥ ألف حالة طلاق خلال عامي٢٠٠٧- ٢٠٠٦ سببها إدمان الأزوَّاج علي الإنترنت، وذلك من مجموع حالات الطلاق التي بلغت ٧٥ ألف حالة، وهي نسبة كبيرة جدًّا إذا ما كانت هذه المعطيات صادقة.

وتوضح الجهة ذاتها أنَّ ٦٨٪ من حالات إدمان الإنترنت المُسبّبة للطلاق كانت بسبب إنشاء معارف وصداقات بين الزوج ونساء أخريات عن طريق الإنترنت. كما انتهت العلاقات في

٥٦٪ من حالات إدمان الإنترنت إلي حدِّ الخيانة الزوجية عن طريق الدخول إلي المواقع الإباحية أو غرف المحادثات (الشات) والمنتديات الجنسيَّة.

ورصدت دراسة سعودية أنَّ شبكة الإنترنت مسؤولة عن٦٥٪ من نسب الطلاق بين أزواج تتراوح أعمارهم بين ٢٩ و٣٠ عاماً ولم يمرّ علي زوَّاجهم سوي سنوات محدودة، وكانت دوافع دخولهم هذا العالم مختلفة وتتوزَّع بين عدة عوامل منها: ٤٦٪ نتيجة ضعف الوازع الديني والأخلاقي. ٢٠٪ نتيجة الشعور بالملل تجاه الزواج . ١٦٪ نتيجة بُعد أحد الزوجين عن المنزل. ١٠٪ نتيجة حُبّ الاستطلاع والرَّغبة في التغيير. ٦٪ نتيجة صعوبة التفاهم بين الزوجين. ٣٪ نتيجة فتور العلاقات العاطفية والحميمية بين الزوجين.

وفي دراسةٍ أجرتها مجلة أمريكية متخصِصة أكَّدت أنَّ المجتمع البشري سيعيش حالة من الفوضى خلال السنوات المقبلة نتيجة طغيان تكنولوجيا المعلومات علي الحياة البشرية، قبل أن يتوصل الإنسان إلي توازنٍ جديد معها، وتوظيفها مع متطلباته المعيشيَّة والاجتماعيَّة بشكلٍ سليم.